مكتبة الأسرة ١٩٩٨

الروائع

مأساة الحلاج



صلاح عبد الصبور

أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبد الصبور

أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبد الصبور

إعداد

د. محمد عنانى

مهرجان القراءة للجميع ٩٨
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الروائع)

أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبدالصبور

الغلاف
للفنان جمال قطب
الإشراف الفني:
للفنان محمود الهندي

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

مقدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل - ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

تصديـــر

تفخـر مكتبة الأسـرة بأن تقدم إلى القارئ العـربى هذا العام مختارات من أروع ما كتبه الشـاعر العظيم صلاح عبد الصبور ، وهى تجمع شتى الفنون الـتى أبدعها وتفوق فيـها ، وتمتاز بالتنوع فى الرؤى وفى الأساليب والأشكال الفنيـة ، وتشهد بعبـقرية قل أن يجود الزمان بمثلها .

وقد اختيرت القصائد بدقة من دواوينه الأربعة الأولى وروعى فى ترتيبها التسلـسل الزمنى ، بحيث يمكن للقارئ أن يتابع تطور الشاعر مـن الديوان الأول « الناس فى بلادى » إلـى الثانى وهو « أقول لكم » إلى الثـالث وهو « أحلام الفارس القـديم » وحتى الرابع وهو « تأمـلات فى زمن جريح » . ونرجـو أن تكون هذه الطاقة من أزهـار الشعر الحـديث حافزاً يحـفز القـراء على قراءة الدواوين كلها فيما بعد .

مكتبة الأسرة

الفهرس

١ هجم التتار

هجم التتار

ورَمَوْا مدينتنا العريقةَ بالدمارْ

رجعت كتائبنا ممزقةً ، وقد حَمِيَ النَّهَارْ

الرايةُ السوداءُ ، والجرحى ، وقافلةُ مَوات

والطبلةُ الجوفاءُ ، والخطُو الذليلُ بلا التفاتْ

وأكفّ جنديّ تدقُ على الخَشَبْ

لحنَ السَغَبْ

والبوقُ ينسلُ فى انبهار

والأرضُ حارقةٌ ، كأنَّ النارَ فى قرْصٍ تُدَار

والأفقُ مختنقُ الغبار

وهناك مركبةٌ محطمةٌ تدورُ على الطريق

والخيلُ تنظر فى انكسار

الأنفُ يَهْمِل فى انكسار

العينُ تدمَعُ فى انكسار

والأُذُنُ يلسَعُها الغبار

والجندُ أيديهم مدلاةٌ إلى قربِ القدمْ

قمصانُهُم محنيَّةٌ مصبوغةٌ بِنُثَارِ دم

والأمهاتُ هربنَ خلفَ الرَّبْوَةِ الدكْناءِ من هول الحريق

أو هول أنقاض الشقوقْ

أو نظرة التتَرِ المحملقةِ الكريهة فى الوجوهْ

أو كفِّهم تمتد نحو اللحم في نهم كريه

زحف الدمارُ والانكسارْ

وابلدتى ! هجم التتار

فى معزل الأسرى البعيدْ

الليلُ ، والأسلاكُ ، والحرسُ المدجَّج بالحديد

والظلمةُ البلهاء ، والجرحى ، ورائحةُ الصديد

ومزاحُ مخمورين من جند التتارْ

يتلمظون الانتصار

ونهاية السفر السعيد

وأنا اعتنقت هزيمتى ، ورميتُ رِجْلى فى الرمالْ

وذكرتُ - يا أُمى - أماسِينا المنعَّمة الطِوال

وبكيتُ ملءَ العين - يا أُمى - لذكرى كالنسيمْ

وغمائم الكلِم القديمْ

أمى . . .

وأنت بسفح ذاك التل بين الهاربين

والليل يَعقدُ للصغار الرعبَ من تحت الجفون

والجوعُ والثوبُ الشفيف

والصَّم والسِعْلاةُ والظَلْماءُ تقعى فى الكهوف

أترى بكيت لأنَّ قريتنا حطام . . ؟

ولأن أياماً أثيرات تولَّتْ لَن تعود ؟

أُماه ! إنّا لن نبيدْ

هذا بسمعى صاحبٌ من أهْلِ شارعنا العتيد

وسعالُ مهزومٍ قعيدْ

وفمٌ يهمهمُ منْ بعيدٍ بالوَعيدْ

وأنا – وكلُّ رفاقِنا – يا أمُّ حين ذَوَى النهار
بالحقدِ أقسَمنَا ، سنهتفُ في الضحى بدمِ التتار
أماه ! قولي للصغارْ :
أيا صغار . . .
سنجوسُ بين بيوتنا الدكناءِ إن طَلَع النهارْ
ونشيدُ ما هدم التتار . . .

* * *

٢ شنق زهران

... وثوى فى جبهَةِ الأرض الضياء
ومشى الحزنُ إلى الأكواخِ ، تِنّينٌ لَهُ ألفُ ذراع
كل دهليزٍ ذِرَاع
من أذانِ الظهرِ حتى الليل .... يا لله
فى نصفِ نهارْ
كل هذى المحن الصمّاءِ فى نصفِ نهارْ
مذ تدلّى رأسُ زهران الوديعْ

كان زهران غلاما
أمُّه سمراء ، والأب مُوَلَّد
وبعينيه وسامهْ
وعلى الصَدغِ حمامهْ
وعلى الزند أبو زيدٍ سلامه
ممسكاً سيفاً ، وتحتَ الوشمِ نَبْشٌ كالكتابه

أسمُ قريه

« دنشواى »

شبَّ زهرانُ قويّاً

ونقيا

يطأ الأرض خفيفا

وأليفا

كان ضحاكا ولوعا بالغناءْ

وسماع الشعر فى ليل الشتاء

ونمَتْ فى قلبِ زهرانَ ، زُهَيْرَهْ

ساقها خضراءُ من ماءِ الحياه

تاجُها أحمر كالنارِ التى تصنَعُ قُبْلَه

حينما مر بظهر السوق يوما

ذات يوم . . . .

من زهران بظهرِ السوق يوما

واشترى شالا مُنَمنَمْ

ومشى يختالُ عجباً ، مثلَ تُرْكيٍّ مُعَمَّم

ويُجبلُ الطَرْفَ . . . ما أحلى الشبابْ
عندما يصنع حبا
عندماَ يجْهَدُ أن يصطادَ قلبا

كان يا ما كان أن زُفّتْ لزهران جميلهْ
كان يا ما كان أن أنجب زهران غلاما . . . وغلاما
كان يا ما كان أن مَرّتْ لياليه الطويلهْ
ونمت فى قلبِ زهرانَ شُجيَره
ساقها سوداءُ من طين الحياه
فرعُها أحمرُ كالنارِ التى تُحْرقُ حقلا
عندما مَرّ بظهر السوق يوما
ذات يوم
مر زهران بظهر السوق يوما
ورأى النارَ التى تُحرِقُ حقلا
ورأى النَارَ التى تصرع طفلا
كان زهران صديقاً للحياه
ورأى النيرانَ تجتاح الحياه

مد زهران إلى الأنجم كفًا

ودعا يسألُ لُطفَا

ربما . . . سَوْرَةُ حِقدٍ فى الدماء

ربما استَعْدى على النارِ السماء

وضع النِطع على السكّة والغيلانُ جاءوا

وأتى السيافُ مسرورُ وأعداء الحياه

صنعوا الموتَ لأحباب الحياه

وتدلّى رأسُ زهران الوديعْ

قريتى من يومها لم تأتدِمْ إلاَّ الدموعْ

قريتى من يومها تأوى إلى الرُكْنِ الصديع

قريتى من يومها تخشى الحياةْ

كان زهرانُ صديقاً للحياة

مات زهرانُ وعيناه حياة

فلماذا قريتى تخشى الحياة . . . ؟

* * *

٣ أبـــي

. . . وأتى نَعْيُ أبى هذا الصباحْ
نام فى الميدان مشجوجَ الجبينْ
حولَهُ الذؤبان تعوى والرياحُ
ورفاقٌ قبْلوة خاشعينْ
وبأقدام تجرّ الأحذية
وتدق الأرض فى وقعٍ منَفّر
طرقوا الباب علينا
وأتى نعيُ أبى

كان فجراً موغلاً فى وحشته
مطرٌ يهمى ، وبردٌ ، وضبابْ
ورعودٌ قاصفهْ
قطةٌ تصرخُ من هولِ المطر
وكلابٌ تتعَاوى

مطر يهمي ، وبردٌ ، وضباب

وأتينا بوعاءٍ حجري

وملأناهُ تراباً وخشبْ

وجلسنا

نأكلُ الخبزَ المُقَدَّدْ

وضحكنا لفُكاهَة

قالها جدى العجوزْ

وتسلَّل

من ضياءِ الشمسِ موعد

فتفاءلْنَا ، وحَيَّيْنَا الصباح

وبأقدامٍ تُجَرّ الأحذيه

وتدقُ الأرض فى وَقْع مُنَفّر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعيُ أبي

حين ودعت أبي

من زمان

كان دَمْعي غائراً في مُقْلَتي
وشفاهي تنطقُ الحرفَ الصغيرْ
يا أبي !
مرة يخنُقُهُ الدمعُ ، ويأبَي
أن يذوبْ
في فراغِ العدمِ
ثم جمعتُ حياتي
وهي بعضٌ من أبي
ما الذي يقصيك عني . . ؟
ما الذي يدعوك للبحر الكبيرْ ؟
ما الذي يدعوك للدرب المضلِّل ؟
لم تجفو مضْجَعَكْ ؟
لم يبدو الموتُ في منزلنا
قدراً لا يخطئُ
وأبي يثني ذراعَهْ
كهرقل

ثم يعلو بي إلى جبهته

ويناغى

تارة رأسِي وطوراً منكبى

ويصرّ البابُ فى صوتٍ كئيبْ

ومضى عنى ، وراحتْ خطوته

فى السكونْ . . .

ونرى طَلْعَتَهُ ، فاعوى

يا أبي !

وأتى نعيُ أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

جنّت الريحُ على نافذتى

فى مسائى ، فتذكرت أبى

وشكَتْ أمّيَ من علّتها

ذاتَ فجرٍ ، فتذكرت أبى

عقرَ الكلبُ أخى . . .

وهو فى الحقل يقُودُ الماشيه

فبكينا

حين نادى . . .

يا أبي !

إننا الأغرابُ فى القفر الكبير

إننا ضِقْنا وضاقَتْ روحنا

القطيع . . !

غاب راعيه ، وطَالتْ رِحْلَتُه

وهو فى بيداءَ لا ظلَّ بها

يا لأقدامٍ تجُرُّ الأحْذِيَه

وتدقُّ الأرضَ فى وقعٍ منفّر

يا لأقدامٍ تذيعُ النّبأ

نبأ المصروعِ فى صخرِ الجبل

إنه مات !

إنه مات وجفت رِحْلَتَهُ

إنه مات وواراهُ الثرى

حيثُ مات

حين غابَ لهيبُ المِدفأه

كلُّ شيءٍ كانَ يحكى النَبَأ

قطةٌ تصرخُ من هولِ المطر

وكلابٌ تتعاوى

ورعودْ

كان فجراً موغلاً في وَحْشَتِهْ

وأتى نعى أبي

نام في الميدان مشجوج الجبين . .

* * *

٤ «سوناتا»

ولا تُشْغَلى إننا ذاهبـــان   إلى قـرية لم يَطأها البـشــرْ
لنحيا على بَقْلِها ، لا الحياةُ   تَضنُ علينا ، ولا النَبعُ جَف
ونصنعَ كوخاً حواليه تلٌ   من الوردِ بـاحَتُه ، والـسُّجف
ويا فـتنتى ، سامِى رِحلَتى   وغُربَتَنا المرفأَ المنتظرْ

وكـانَ سريرك من صَنْدلٍ   وفَرْشَتُه من حَريرِ الشـآم
وطَوَّقتُ جيدكَ بالياسمين   ومَسَّحتُ كفَّيك بالعنبرِ
وثوبك خـيطٌ من الموسلين   وخيطٌ من الذَهَبِ الأصـفر
ونُرخى الستارَ ، وفيروزتان   تموجانِ فى وَجهك المُستهام

وأيقَظَنى صاحبي (يا فلان)
أفِقْ ، غَمرَ النُور وَجْهَ الوجود
ودوّى القطارُ ، ومـاجَ الطريقُ
زحاماً من الأرضِ حتى السماء

يساقونَ والموتُ فى مرصدِ

لمعركةِ البُلْهِ والأغبياء

لأجلِ الرَّغيفِ ، وظِلٍ وريفِ

وكوخٍ نظيفٍ ، وثوبٍ جديدْ

وفى العصرِ شُفْتُكِ يا فتنتى

ولم نفترق فى الزِحَامِ البليدْ

وقبّلتُ ثوبكِ يا فتنتى

لأنَّكِ أنتِ رجائى الوحيدْ

* * *

٥ « الرحلة »

الصبحُ يدرجُ فى طفولته والليلُ يحبو حبو منهزمِ
والبدرُ لَملَم فوقَ قريتنا أستارَ أويتهِ ، ولَمْ أنمِ

جامٌ وابريقٌ وصومعةٌ وسماءُ صيفٍ ثَرَّةُ النِعَمِ
قد كَرَّمت أنفاسُها رِئتى وتقطَّرتْ أنداؤها بِفمى
ونجيمةٌ تغفو بنافذتى
لَحَظَتْ شُرودِىَ لحظَ مبتسمِ
وصدىً لموالٍ يعاوِدُنى
وحفيفُ موسيقَى من السُدُمِ
ورؤى أنضرها واقطفُها والُمها ، ويَنْثُرها سأمى
وعرائسٌ تختالُ فى حُلُمى بين الدفوفِ وضجةِ النغمِ
وأظلُّ مأخوذاً فتبسم لى تيجانها ، ويهزنى ضَرَمى
وترودُها كفى فيفجعُنى حسٌ الدمى ، وبرودة الصنَّمِ

قسمى تنكر لى مسالكُها من بعدِ إلفى روعة القمم
يا رحلَةَ المعنى على خَلَدى قرّى بجسدبى ، عانقى عدَمى

ولّى المساء وجوُّهُ السحرى الصبح أشرق وجهه الخمرى
يا إخوتى النُّوام ، ما أحلى
حضنَ الكرى ، وسَذَاجَةَ الفكرِ

* * *

٦ الوافد الجديد

زورقي جانحٌ كسيرْ وشراعي به خُرُوق
وخليجي ومَرْفَئي نامَ من دُونه المَضِيقْ
وأنا جاهدٌ لَغُوبْ أتهادى إلى الأبَدْ
نحو قصرٍ من الرمالْ وقلاعٍ من الزَّبَدْ
بيتها يرقُدُ الحبيبْ في سريرٍ من الدُّخانْ
فوقَهُ مجمرٌ غريب وظلالٌ من القِيانْ
زورقي مالَ وانكسر غامَ في الماءِ نصفُهُ
ضاعَ كدّي ! فلن أرى من سبي النفس وصفُهُ
ويعيداً على الضفافْ هلّل الوافدُ الجَديدْ
لحبيبي ، على دمي قد بَنى عالماً سعيدْ

* * *

٧ الأطلال

أطلال . . . أطلال
يمشى بها النسيانْ
في كفِّهِ أكفانْ
لكل ذكرى قَبرْ
وبينها قبرى . .

أطلال . . . أطلال
ناحت له صلَواتْ
واسترحَمتْ عبراتْ
وتصدَّتْ النزَاوت
في ثوبِها الشعْرى

أطلال . . . أطلال
الوردُ فيها تَلّ
ممزّقٌ مبتل

بالنهرِ من سَمْعى

والقَيظِ من فِكرى

أطلال . . . أطلال

والجنُّ فيها سُودْ

لهم فَحيحُ السُودْ

يَثِبون فى الأسحار

وثباً على صدرى

أطلال . . . أطلال

والفجرُ فيها طفل

مُعَفَّرٌ مُخْتَلّ

ممزَّق الوَجَنَاتْ

مروَّعٌ يجرى

أطلال . . . أطلال

والبلبلُ النوَّاح

ولّى بغيرِ جنَاح

إلا رؤىً وخيَالْ

أصبحتُ لا أدرى

أطلال . . . أطلال

« تانجو » تَرِنّ هناكْ

أزهارُها أشواكْ

وشَطُّها خَدّاعْ

والركبُ لا يدرى

أطلال . . . أطلال

هذى هى الأطلال

نِهايَةُ الآمالْ

أسعى وَرَاءَ الشَمْسْ

والشمسُ فى ظهرى . .

* * *

٨ ذكريات

ذاتَ مساءٍ مُظلمٍ كأنّهُ سِردابَ
أطلَّ من كوَى الجدارِ وَجْهُهُ المرتابُ
والريحُ حولَ كوخِهِ قارصةٌ مدمدمهْ
والرعدُ قاصفُ الصدى ، مدينةٌ منْهَدِمهْ
والبرقُ ضاءَ في السَمَا أهلَّةً أهلّهْ
والأفقُ غابةٌ كثيفةُ النباتِ مُشْعَلَه
فلم يَجد له إلى الأخلاصِ من سبيل
ومات في مَسْجَنِهِ ، في كوخِهِ الذليلْ

وبعدَ عامٍ ، مثلما يقالُ ، دبَّت الحياهْ
في روحِهِ وجسمه ، فهبَّ يبتغي النجاهْ
أطلَّ من كوى الجدارِ وجهُهُ ، يا فَرحنا
فأطبقَ العينين ، صرَّ بابَهُ ، والتفتَا
وكانتْ السماءُ بحرةً تموجُ بالحنَانْ
والشمسُ والهلالُ في الخضمِ زورقَانْ

وحين مدَّ قـامـةً كـبـيـرةً مـحطومَهْ
تلفّعَ الثوبَ القـديمَ ، والحوائجَ القـديمة

وكـان جـائعـاً وظامئـاً ، ممزّقَ الثيـاب
ولم يكُنْ لقـلبـهِ في الكونِ مـن أحبْاب
وفـجـأةً لاحت له أمـيـرةٌ مـؤتزرَهْ
بيـضـاءُ مـثل لؤلؤ ، وحلوة كـسكَّره
مـدَّتْ ذراعَي فِضـة تَلقـاهُ في تَحْنان
وكوّمَتْ في ثغـرها التـضيـر قُبلَةَ الحَنان
لكنَّهُ اسـتـدارَ للفـلاةِ حـائر الخطى
كأنَّهُ ، فـيمـا يحدثـون ، عملاقٌ مضى
وماتَ يـا سيدتي الحسناءَ ميتـةَ الشهـيدْ
ولن يعـودَ للحيـاة ، والشهـيدُ لَنْ يَعـود
وتسـألينَ : لِمْ حكَـيْتَ في المسَاءِ قِصتَّهْ
ولِمْ بَعَثْتَ في السكُون ذكـرياتِ ميتـه ؟
سيـدتي! وحيـنمـا عـاهَدْتُهُ كـانَ يموت
سـيـدتي! أمـا عـرفتِ انّني صَمُـوت
يطلُّ مـن كُوَى الجـدارِ وجـهُهُ المرتاب
كل مـسـاءِ مظلـمٍ كـأنَّهُ سِرداب

* * *

٩ لحن

جارتي مَدَّتْ من الشرفَةِ حبلاً من نَغَمْ
نغمٍ قاسٍ رتيبِ الضربِ منزوفِ القَرارْ
نغمٍ كالنار
نغمٍ يقلعُ من قلبي السكينه
نغمٍ يورِقُ في روحيَ أدغالاً حزينهْ
بيننا يا جارتي بحرٌ عميق
بيننا بحرٌ من العجزِ رهيبٌ وعميق
وأنا لستُ بقُرْصَانٍ ، ولمْ أركب سفينه
بيننا يا جارتي سبعُ صحارَى
وأنا لَمْ أبرح القريةَ مُذْ كنتُ صَبيا
أَلْقيَتْ في رجليَ الأصفادُ مذ كنت صبيَا
أنتِ في القلعةِ تَغفينَ على فَرْشِ الحرير
وتذودينَ عن النَفْس السآمهْ
بالمرايا واللآلي والعطورْ

وانتظار الفارس الأشقرِ فى الليلِ الأخير

« أشرقى يا فتنتى »

« مولاىَ !! »

« أشواقى رمَتْ بى »

« آه لا تقسم على حبّى بوجهِ القمَرِ

ذلك الخدّاعُ فى كُلّ مَساء

يكتسى وجهاً جديداً . .

جارتى ! لستُ أميرا

لا ، ولسْتُ المضحك المراحَ في قصرِ الأمير

سأريكُ العجبَ المُعْجِبَ فى شمسِ النهار

أنا لا أملكُ ما يَملأُ كفّىّ طعاما

وبخدّيك من النعمةِ تفاحٌ وسكّرْ

فاضحكى يا جارتى للتُعساء

نغّمى صوتَكِ فى كلّ فضاءْ

وإذا يُولَدُ فى العتمَةِ مِصباحٌ فَريدْ

فاذكرى . . .

زينةُ نورُ عيوني وعيونُ الأصدقاء

ورفاقي طيبون

ربما لا يملكُ الواحدُ منهم حَشوَةَ فَم

ويمرُّون على الدنيا خِفافاً كالنسمْ

وو ديعينَ كأفراخ حَمامَهْ

وعلى كاهِلِهمْ عبءٌ كبيرٌ وفريد

عبءُ أن يُولَدَ في العَتمَةِ مِصْباحٌ وَحيد . . .

* * *

١٠ نام فى سلام

« لذكرى قريبى وصديقى الطيار محمد نبيل الباجورى»

«استشهد على رمال غزة فى سبتمبر عام ١٩٥٥ »

وأذرفت عيناهُ دمعةَ السرورْ
ونَورت فى وجهه النبيلِ بسمةٌ وديعهْ
يحارُ فى تأويلها القضاهْ
ومد كفَّهُ ، منارةَ الضياءْ
ثم أحالَ طرفهُ كأنه يبارك الحياة والأحياء
بنظرةٍ باسمةٍ تُضاحِكُ السماءْ
وماتَ ذلك الوديعُ دون ما احتفالْ
معلّماً ورائداً فى سِنَّةِ الكمالْ
أما التلاميذُ الذين أنفقوا أيامهم محبَّةً للحِكمهْ
فَقَدْ تهامَسوا بدهشةٍ
« أيبَسمُ المعلم ؟ »
عندئذٍ أجابَ أكثرُ الشبابِ فطنهْ

ألم يَقُلْ لنا المعلمُ الشهيد حكمةَ الأجيال
يا أيها الإنسانُ . . .
إعرفْ نفسك . .
وهو يموتُ وادعًا ، لأنه عرَفْ
فماتَ فى سبيل سُنَّةِ الكمالْ

وجرٌّ آخَرٌ صليبهُ ، ووجههُ يفورُ بالزَّبَد
والجُهْدُ والرَمضاءُ يُغْريانِ منكبين عاريينْ
لكنَّه ابتسمْ
لأنه قد وهبَ الحياةْ
أيامهُ القليله
لكى يزيدَ فى هناءةِ ابتسامةِ الصبى
ونشوةِ العذراء
وفرحةِ الآباءِ بالأبناء
لكى ترفَّ فى سَحابةِ السماءْ
حمامةُ السلام

أما أخى « محمدٌ نبيل »
فقد طوى جِنازةٌ شوارعَ المدينهْ
فى ظهرِ يومٍ قائظٍ ، والناسُ مطرقونْ
أحبابهُ ، أحبابُنا ، وأهلُ حيِّنا القديمْ
وأعولتْ صَبيةٌ فى شُرفةٍ مهدُومهْ
ودقَّ طبلٌ معولٌ ، وسارَ جُندٌ واجمون
وساءلتْ مشيرةٌ عجوزُ
« فى ذلك الصندوقِ ، من هذا الذى ثوى ؟ »
« هذا فتىً مجاهدٌ قد ماتَ فى العشرين »
ولم تقل كُليمةً ، إمرأةٌ غريبهْ
لكنَّها من قومِنا ، فى قلبها كثُور
وتعرفُ الحنانَ والأحزان
فاندفعتْ باكيةً فى زَحْمَةِ الجنَازْ
ومسَّ لحمُها العجوزُ منكبى وساعدى
وكانَ لحمُ منكبى يغوصُ فى الصندوق
وكلُّ شيءٍ كانَ هامداً كأنه يموتْ
لكنهُ يموتُ فى عناقْ

وفى المدافن التى تنامُ فى الحقولِ غيّبوهْ
لم يبقَ من هذا الوسيم غيرُ حفنةِ ترابْ
ترابِ مصر
تعود كى تنامَ فى حضنِ الترابْ
تراب جَدِّنا وأهلنا ، تنامْ
تنامُ فى سلامْ
وكانَ فى وجه السما سحابة من الشَّفق
حمراءُ مثلُ دَمّ
وكان فى طرفِ المدَى نوَارة الحقُولْ
بيضاءُ مثلُ قلبِنا ، وقلبِه ، وقلبِ ميتين آخرينْ
من قومنا المجاهدين الطيبين
من قومنا الذين باركوا الحياةْ

* * *

١١ مرتفع ابدا

رفع العلم المصرى على مبنى البحرية ببورسعيد يونيه سنة ١٩٥٦

لترتفعْ ، لترتفعْ ، يا أيها المجيدْ
يا أجملَ الأشياء فى عينىَّ ، أنتَ يا خفاق
يا أيها العظيمُ ، يا محبوبُ ، يا رفيعُ ، يا مهيبْ
يا كلَّ شيءٍ كان فى الحياةِ أو يكونْ
يا علَمى ، يا علَمَ الحريهْ
فداءُ تلكَ اللحظةِ المجيدةِ الثريَّةْ
مضى إلى السكون من أحبابنا ألوف
ليجعلوا قلوبهم تلاً من التُراب
يقومُ فوقَهُ العلَمْ
ليفتلوا عُروقَهمْ ساريةً مجيدَه
يزينُ فرعَها العلم

لينسجُوا أيامهُمْ ديباجةً خضراءْ

ترف فى الهواء

كوجهِكَ النبيل ، يا علم

ومن بياض المقلتينِ ، حين تشخَصانِ للسماء

تستمطرانِ – فى ليالى اليأسِ بسمةَ الرجاء

هلالُكَ الوسيمُ ، يا علَم

فلترتفعْ يا أشرفَ الأشياءْ

أفديكَ صاعِداً إلى السماء

كطائرٍ منَ الجنَانِ ينقُرُ السحابَ والأجواءْ

بِرقّةٍ نبيلةٍ من ذلك الجناحْ

يهزُّ قلبنَا الحنينُ ، يا علم

فى سحبةٍ صغيرةٍ من طرْفِكَ المعقودْ

يموجُ حبُّنا العميقُ ، يا علَم

لقد ملكتنَا بوجهكَ الجميل

ورقّةِ الجناح

وخفقك النبيل

ورقةِ الوشاحْ
وما أكتوينا فى سبيل أن ترف يا عَلَم

ليسترح على وسادِ الشمس خَدُّكَ الرقيقْ
إلى الأبدْ
لتضحك السماءُ لكْ
سحابةٌ سخيةٌ تظللك
والقمرُ الزاهى يُقَبِّلُكْ
والشفَقُ المخضوب بالدماءِ يَغسِلُكُ
لتحترق على المدى جُسومُنا
لكى تنيرَ أنتْ
تغوصُ فى جوفِ الثرَى عِظامُنا
لتستطيلَ فى قلبِ الثرَى ساريتُك
وترتفع
وما تزالْ ترتفع
يا أشرفَ الأشياءْ

* * *

١٢ سأقتلك

أكتوبر سنة ١٩٥٦

سأقتُلُك

من قبْلِ أن تَقتُلنى سأقتلك

من قبلِ أن تغُوص فى دَمى

أغوصُ فى دَمِك

وليسَ بيننا سوى السلاح

وليحكُم السلاحُ بيننا

سنابكُ الجدودِ وقعُها المهيبُ ما يزَال

يموجُ فى ذاكرَةِ الأيامْ

ونورُهُمْ يختالُ فوْقَ مَفرِقِ التاريخ

فمنهمْ الذى بنى حِجارةَ الأهرام

لكى يُمجِّدَ الإنسانَ حينَ يشمخُ الإنسان

ومنهمُ الذى بنى منارةَ الإسلام

لكَىْ يقولَ للأنامِ : لا إله إلا الله

ونحنُ فى حاضرنا المجيدِ نصنع السلاَم

هديةً من شعبنا للعالم الجديد

العالَم الذي يريد

يريدُ للرجالِ أن يعانِقوا الرّجالَ دون حِقدْ

العالمُ الذى يريد

يريدُ للنساء أن يُغفينَ وادعاتْ

فى أذرعِ الأزواج والأحبابِ والأبناءْ

العالَمُ الذى يُصبِّحُ الأطفالَ ، نَوْرةَ الأمل

بنُغْيَة الحنان والدُّمى وبالقُبل

العالمُ السعيدُ ، واحةُ الأجيال

فى سعْيها قوافلُ الأجيال ، نحو عالم سعيد

وأنتَ ، والإمحالُ والعَياءُ والظلامُ فى خُطاك

تريد أن يَصفرَّ فى القلوبِ بُرْعُمُ الآمال

فى عالمٍ سعيد

أقسمتُ بالأهرام والإسلامِ والسلام

سأقتلك
بكُلِّ ما سُقيتُ من مرارة الأيامْ
أغوصُ في دَمِك

أقسمتُ بالأخ الذي مضى ، وخلّتُهُ بلا ثمنْ
في عامِنا الماضي ، ولم يُلفَّ حول جسمه كفَنْ
لأنه احترق
على تراب « غزةَ » البيضاءَ بالطائرةِ احترق
كان اسمُه « نبيل »
وكنتُ في محبّتي أدعوهُ بُلبُلي الحبيب
وكان راعفَ الجناح ، دائبَ الأسفار
وكان حينما يعودُ ينقرُ الودادَ من فُؤادي . .
حبّتين . . . حبتين
فحبةٌ لجوعه ، وحبةٌ تذْكار
وفي الأصيل ، كان يهدِلُ اللقاء غُنوتينْ
فغنوةٌ لأهلنا ، وغنوة للدارْ

لكنّهُ مضى ، وخلتهُ مضى بلا ثمنْ
اقسمتُ وجهُكَ الجديبُ سوف يُصبحُ الثمَنْ
من أجله سأقتلك
لأجل ثأره اغوصُ فى دمك

الشمسُ فى بلاد الشمْس بهجةُ النظَر
وفوق معطفِ السحاب يدْرُجُ القمر
وتزدهى النجوم كالزّهر
وفى ربى بلاد الشمس تورقُ الحياه
سنابلاً ذهبْ
والشمْسُ واللجينُ فى صبا الأصيل ينسجان
مطارفاً ما حازَها فى وهمهِ فنّانْ
أقسمتُ بالقمر
وبالسحابِ والزّهر
وباللجين ، واهبِ الحياهْ
سأقتلك ،

من قبلِ أن تقتلَنى سأقتلُكْ

أهلُ بلادى يصنعونَ الحبْ

كلامهُمْ أنغامْ

ولغْوُهُمْ بسَّامْ

وحين يسغَبونَ يطعمُونَ من صفاءِ القلْب

وحين يظمأون يشربونَ نهلةً من حُب

ويلفظون حين يلتقون بالسلامْ

- عليكمُ السلام

- عليكمُ السلام

لأنَّ من ذُرَى بلادنا ترقرق السلام

وفاضَ من بطاحها محبةٌ خضراءَ مثل نبتةِ الحقُول

ورقة بيضاءَ كالأزهار فى الخميل

ورحمة زهراءْ

كقلبِ أمهاتنا

كفرحنا بعيدنا

كالقطنِ حين يستنير لونُهُ جنى

وأنتَ ، يا مُدنَّسَ الخطى

تريدُ ، بئسَ ما تريد

لكننى سأقتلك

من قبل أن تقتلنى أغوصُ فى دَمِكْ

* * *

١٣ الشهيد

يا عجباً ، كلَّ مساءٍ موعدى مع المضرَّج الشهيد
كأنَّ منديلَ الشفقْ
دمُهْ
كأنَّ مدرجَ الهلال كفُّهُ ومعصمُهْ
كأنَّ ظلمةَ المساءِ معطفُهْ
وبذرةَ السنا أزرارُ سترتهْ
كأنَّهُ مسافرٌ على جوادِ الليل مشرقاً ومغربا
كلّ مساءٍ بلا ملالْ
يهيج فى قلبى اللياعَ والشجى
لأن بين مقلتيه جرحاً ما يزالْ
وحين يوغلُ المساءُ ، أهتفُ اسمه الحبيبْ
أدعوه أنْ يخف لى من أفقهِ الرحيبْ
يجئُ . . لا يكسر قلبى

تجوزُ خفّاه إلى جوارى

ويتكّى بجنبى على سريرى

لكنما عيناىَ تُطرفان ، تمشيانْ

وكيف لى ، وجرحُهُ فى وجهه مصباح

الصمتَ ! لا أحار منطقا

وربما أقولُ : أنت

وربما تطوفُ فى وجهىَ أنفاسُهُ

كأنما تقولُ جئتْ . . .

لكنما ديكُ الصباحِ صاح فى الأفق

لنفترق

لا تلْهُ عن موعدنا ، إلى اللقا

وحين ينشُرُ الجناح

يقول خافقى : رأيتُهُ

تقول مقلتى : كأننى رأيتْ

كل مساءٍ ينزلُ الشهيدُ فى مدينته

يبثُّها أشواق قلبه البرىءْ
وأمس مرَّ ثم حيًّا وجههُ الوضىءْ
هنيهةً وماج ثوبُهُ على استدارة الأفقْ
فوق رُبى المدينة الفساح
وانطفأتْ جراحُهُ فى صدرها الجرىءْ
ونوَّر المساءُ بالجراحْ
كأنه صباحْ . . .

* * *

١٤ اغنية ولاء

صنعتُ لك

عرشاً من الحرير . . . مخْملى

نجرتُهُ من صندلى

ومسندين تتكى عليهما

وبلجة من الرخام ، صخرُها الماس

جلبتُ من سوق الرقيق قينتين

قطَّرْتُ من كرْم الجنان جفنتين

والكأسُ من بللوْر

أسرجتُ مصباحا

علَّقتهُ فى كوةٍ فى جانب الجدار

ونورهُ المفضضُ المهيب

وظلُّهُ الغريب

فى عالمٍ يلتفُ فى إزاره الشحيب

والليلُ قدْ راحا

وما قدمتَ أنت ، زائرى الحبيب

هدمتُ ما بنيت

أضعتُ ما اقتنيت

خرجتُ لك

عَلَّى أوافى محملك

ومثلما ولدتُ - غير شملة الإحرام - قد خرجت لك

أسائلُ الروَّادْ

عن أرضك الغريبة الرهيبة الأسرار

فى هدأة المساءِ ، والظلامُ خيمةٌ سوداء

ضربتْ فى الوديان والتلاع والوهادْ

أسائلُ الروَّاد

« ومن أراد أن يعيش فليمُتْ شهيد عشق »

أنا هنا ملقىً على الجدار

وقد دفنتُ فى الخيال قلبى الوديع

وجسمى الصريع

فى مهمه الخيال قدْ دفنْتُ قلبى الوديع

يا أيها الحبيب

معذِّبى ، يا أيها الحبيب

أليس لى فى المجلس السنىِّ حبوةُ التبيعْ

فإننى مطيع

وخادمٌ سميع

فإن أذنْت إننى النديم فى الأسحار

حكايتى غرائبٌ لم يحوها كتابْ

طبائعى رقيقةٌ كالخمر فى الأكواب

فإن لطفت هل إلى رنوةُ الحنان

فإننى أدل بالهوى على الأخدَان

أليس لى بقلبك العميق من مكان

وقد كسرتُ فى هواك طينة الإنسان

وليس ثمَّ من رجوعْ . . .

* * *

١٥ ثلاث صور من غزة

-١-

لم يكُ فى عيونِهِ وصوته ألمْ
لأنه أحسَّهُ سنهْ
ولاكَهُ .. استنشقه سنهْ
وشاله فى قلبِهِ سنهْ
وطالتْ السنون أزْمِنَهْ
فأصبحت آلامُه - فى صدْرِهِ - حقدا
بل أملاً ينتظر الغدا

-٢-

يا أيها الصغارْ
عيونُكُمْ تحرقنى بنارْ
تسألنى أعماقُها عن مطلعِ النهارْ
عنْ عودةٍ إلى الديار

أقول . . . يا صغارْ

لننتظر غداً

لو ضاع منا الغد ، يا صغارُ . . .

ضاعَ عُمْرُنا سدي

-٣-

كانت له أرض وزيتونهْ

وكرمةٌ ، وساحةٌ ، ودارْ

وعندما أوفَتْ به سفائنُ العمرِ إلى شواطئ السكينة

وخطَّ قبره على ذُرى التلالْ

انطلقت كتائبُ الثّارْ

تذودهُ عن أرْضِه الحَزينَة

لكنّهُ خلفَ سياجِ الشوكِ والصبّارِ ظل واقفاً . . .

بلا ملال

يرفضُ أن يموتَ قبلَ يومِ ثارْ

يا حُلْمَ يومِ الثّارْ

* * *

١٦ احبـــك

لا ، لا تنطِق الكلمهْ

دعها بجَوْفِ الصدرِ منبهمه

دعها مغمغمةً على الحلق

دعها ممزقةً على الشِدقِ

دعها مُقَطّعَةَ الأوصالِ مَرْميه

لا تجمعِ الكلمه . . .

دعها رماديه

فاللون فى الكلماتِ ضيّعَنا

دعها غماميهْ

فالخصبُ شرّدنا وجوّعنا

دعها سديميه

فالشكلُ فى الكلماتِ توّهَنا

دعها تُرابيَهْ

لا تُلقِ نبضَ الروحِ فى كَلِمَه

كم مرةٍ جاشَتْ بِيَ الكَلِمَهْ
وبَدَتْ لعيْنى ، وهيَ تَستأنى
فوقَ الشِفاهِ رقيقةً تُحنى
جيداً ، وتَستَدنى
خدّيْن مضمومينِ فى بَسْمَهْ
وتكادُ تغلِبُنى على قَصْدى
لأقُولَ ما أعنى
وأفُكّ طِلّسْمى ، وأجمعَ مِنْ
حلقى الشباكَ لتُفْلتَ الكلمهْ
وأعودُ أذكُرُ مرةً سَلَفَتْ
عامين من بأسائها اغترَفَتْ
روحى الكتوم ، لأنّها اعترفَتْ
وسقطتُ تحت سنابك الكلمهْ

لا ، لا تنطقِ الكلمهْ . . .
حتى ولوْ ماجَتْ بوجهِ النيلْ

أنسامُ ليلةِ صيفْ
حتى ولو رَفَّتْ على أرْغولْ
محرورةً ، نَغَمَهْ
حتى ولو في الرمل خَطَّ الإلْف
حرفَينِ ملْويّينَ
حتى ولو طالَعْتَ في عينيه ... في العُمْقَيْن
قَسَماتِكَ المحمومةَ الشفَتَين
وتَساءلَتْ شفتاك ... ما كلمَهْ ؟
تُهدى لخدٍ باسمٍ ... نِعْمَه
وتنامُ في كفين ممدودين
وتطوفُ أنفاساً على نَهدَين
ما أجملَ الكَلِمَه .. !

ها قد نَسيتَ حياتكَ الأولى
والجرحَ والذلّة
ها قد جمعتَ الحرفَ جنبَ الحرفِ والحرفَين

لَمَعَتْ بشيءٍ دافيءٍ مقلُه
وتمدّدَ الإعياءُ في الشفَتَين
وعداً جَسورٌ كانَ مَغلولا
وسقطتَ تحتَ سنابِك الكَلِمَه . .

* * *

١٧ الحـــب

لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ... ميلادٌ بلا حُسْبانْ

لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ، ما باحت به الشفتانْ

بغير أوانْ

لأن الحب قهارٌ كمثلِ الشعرْ

يرفرف في فضاءِ الكونِ ... لا تَعْنو لهُ جَبْهَه

وتعلو جبهةُ الإنسانْ

أحدّثكُم - بدايةَ ما أحدّثكم - عن الحبِ

حديثُ الحبِّ يوجِعُنى ويُطرِبُنى ويُشْجِينى

ولما كانَ خَفْقُ الحبِّ في قلبى هو النجوى بلا صاحب

حملتُ الحبَّ في قلبى ، فأوجَعَنى ، فأوجعنى

ولما كان خفقُ الحبِّ في قلبى هو الشكوى إلى الصاحب

شكوت الحبَّ للأصحابِ والدنيا ، فأوجعنى

ولما صارَ خفقُ الحبِّ في قلبى هو السلْوى

لأيامٍ بلا طعمٍ ، وأشباحٍ بلا صورهْ
وأمنيةٍ مجنحةٍ بجوفِ النّفسِ مكسورهْ
حملتُ الحبَّ للمحبوبِ ، ثم دنَوْتُ مِنْ قلْبه
وقلتُ له : أتيتكَ . . . لا كبيرَ النفسِ ، لا تيّاهْ
ولا فى الكم جوهرةٌ ، ولا فى الصدر وشْحَتُ
ولكنّى إنسانٌ فقير الجيبِ والفطنهْ
ومثل الناسِ أبحث عن طعامى فى فجاجِ الأرض
وعن كوخٍ وإنسانٍ ليسْتُرَ ما تَعرّيْتُ
وحين أدارَ لى وجهاً شريفَ اللمحِ والصورَهْ
تغنيتُ . . . تغنيتُ :

أغنيـةٌ لقـدٌ مـحـبـوبى
أغنيـةٌ لوجهـه الجمـيلْ
أغنيـةٌ لشـعـره الذهبى
أغنيـةٌ لخـده الأسـيل
لكنـنى لستُ بمـوهوبِ
أنا فتى لا يعرف القليلْ
أنا فـتى لا يملك القليلْ

وقالتْ لي : لوجهىَ والهوى يا شاعرى غنيتْ
فغنِّ الآن أغنية لقلبكَ أنتْ
أسندتُ عودى إلى الضلوعْ
ورحت استقطرُ النغمْ
فَأنَّ عودى على الضلوع
وغمغم الصوتُ ، وانبَهَم
لَحْنِىَ ، فلتسعفْ الدموع

وضعتُ العود ، ثم صنعت بالكلمات ألحانا
بريئاتٍ كما فى القلْب . . .
وقلت لها بأن الحب ما يصنعُ بالإنسان انسانا
وأن الحبْ . . .
عندما يصبح إنسان حقيقهْ
عندما يبحث فى ظل العيون السود عن عين صديقه
ويراها . . .
عندما يحلم بالبيتِ ، وبالدفء على مخدعٍ تظرهْ
ويوارى خَوْفَهُ فى متكاها

عندما يحلمُ بالأطفالِ والنزهة فى إصباحِ جمعهْ
عندما تُمزَجُ فى عينيه أشواقٌ ودَمْعَه
عندما يُشْرِعُ إنسانٌ لإنسانٍ جناحَهْ
ويناغيه دلالاً وسماحه
عندما يصبح ما مرّ من الأيام محوا
لم يكن حيناً حياةَ القلبْ
عندما يصبحُ كل اللفظ لغوا
غير لفظ الحبْ ....

وغمغم الصـــوت وانبهم
لَحْنِىَ ، فلتسعف الدموع
وأغمضَتْ ،
ثم قالتْ لى ،
لقد طابَتْ بك الأيامُ ، مرحى بِكْ
عرفتُ الآنَ أنَّكَ لى ،
وأنى لكْ

* * *

١٨ « الكلمـات »

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبى من الديباجْ
ولم أتقلّدْ الشـارات ، أو ألتفّ بالأدراجْ
ولم تَعْتمّ مثلَ البرجِ فوقَ التلِ جُمْجمتى
ولم أمسكْ بكفى صولجانَ الحكمِ والمقوَدْ
ومـا السـوقُ ببـيتِ أبى ولا المَعْبَدْ
حديثى محضُ ألفاظِ ، ولا أملكُ إلاّها
أرقرقها لكُمْ نَغَماً ، أجمّلُها أفانينا
أرقّشها تلاوينا
وللألفاظ سلطانٌ على الإنسانْ
ألم يرووا لكمْ فى السِّفْرِ أن البدءَ يوماً كان . . .
- جلّ جلالها - الكلمهْ
ألم يرووا لكمْ فى السِّفْرِ أن الحقّ قوّالُ
ولكنى أقولُ لكم بأن الحقّ فعّال

أقولُ لكُمْ :

بأن الفِعلَ والقَولَ جناحَانِ عليّانِ

وأن القلبَ إن غمْغَمْ

وأن الحلْقَ إن همْهَمْ

وأن الريحَ إن نَقَلَتْ

فقد فَعَلَتْ ، فقد فَعَلَتْ !!

كتائبُ فوق طوقِ الحصر مسرجةٌ على الأفراس طوآفة

وطوقُ لجامها الكلماتْ

* * *

١٩ اغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لقاكِ يا مدينتى حَجّى ومبكايا

لقاكِ يا مدينتى أسايا

وحين رأيتُ من خلال ظُلمةِ المطار

نوركِ يا مدينتى عرفتُ أننى غُلِلتْ

إلى الشوارع المسفلّتة

إلى الميادين التى تموتُ فى وقدتها

خضرة أيامى

وأن ما قُدّر لى يا جرحى النامى

لقاكِ كلما اغتربتُ عنْك

بروحىَ الظامى

وأن يكونَ ما وهبْتِ أو قدّرْتِ للفؤادِ من عذابْ

يُنبوعَ إلهامى

وأن أذوبَ آخرَ الزمانِ فيك

وأن يضمَّ النيلُ والجزائرُ التى تشُقّهُ . . . .

والزيتُ والأوشابُ والحجرْ

عظامى المفتّته

على الشوارعِ المسفلتهْ

على ذُرى الأحياءِ والسِكَكْ

حين يَلمُّ شملها تابوتيَ المنحوتُ من جميزِ مصرْ

لقاكِ يا مدينتى يخلعُ قلبي ضاغطا ثقيلا

كأنه الشهوةُ والرهبةُ والجوعُ

لقاكِ يا مدينتى ينفُضُنى

لقاكِ يا مدينتى دموعُ

أهواكِ يا مدينتى الهوى الذى يَشْرُقُ بالبكاء

إذا ارتوت برؤية المحبوبِ عيناهُ

أهواكِ يا مدينتى الهوى الذى يسامحْ

لأن صوتهُ الحبيسَ لا يقولُ غير كلمتين . . .

إن أراد أن يصارحْ

أهواك يا مدينتي .....

أهواك رغم أنني أُنكرتُ في رحابك

وأن طيريَ الأليفَ طارَ عني

وأنني أعودُ ، لا مأوى ، ولا مُلتجأ

أعود كي أشردَ في أبوابك

أعود كي أشربَ من عذابك ...

* * *

٢٠ أغنية الليل

الليل سُكرنا وكأسنا
ألفاظنا التي تُدارُ فيه نُقلُنا ونقلُنا
الله لا يحرمني الليلَ ولا مرارتَه
وإن أتاني الموتُ ، فلأمتْ محدثاً أو سامعاً
أو فلأمتْ ، أصابعي في شعرِها الجعدِ الثقيلِ الرائحهْ
في ركنيَ الليليِّ ، في المقهى الذي تضيئُهُ مصابيحٌ حزينهْ
حزينةٌ كحزنِ عينيها اللتينِ تخشيانِ النورَ في النهار
عينان سوداوانْ
نضاحتان بالجلالِ المُرّ والأحزان
مرّتْ عليهما تصاريف الزمانْ
فشالتا من كل يومٍ أسودٍ ظلاً . . .

عينانِ سرْدابانْ
عميقتانِ موتا

غريقتان صمتا

فإن تكلمتا

تندّتا تعاسةً ولوعةً ومَقْتا

ينكشف السردابُ حينما تدُقُّ الساعةُ البطيئة الخطى

معلنةً أن المسا قدْ انكشفْ

تقولُ لي العينانُ :

« يا عاهرى المتوج الفَوْدَين بالحديد والحصى »

« يا ملكى الغريب الاسمِ المزيف السِماتْ »

« أحببتُ فيكَ رؤيةً رأيتُها منذُ الصغر »

« وكان يُشبهك »

« وليسَ أنتَ . . . ليسَ أنتْ ! »

« كان فتى حُلمى جميلاً ، لا مُزوّقا »

« مُثقفاً ، لا ذَرِبَ اللسانْ »

« محتشماً ، نبالةً فى الطبْعِ ، لا خَوْفا »

« وعاطفاً ، لا عاطفياً »

« يا عاهرى »

يا خُدْعتى ،

يا قَدَرى » !

« فى الساعةِ الليليّة الأخيرة »

« خذنى إلى البيتِ ، فإننى أخاف أن يَبُلّنى الندى »

« تذوبُ أصباغى

ويبدو قبحُ وجهى »

وتصمتُ العينانِ ، ترجعانْ

عميقتانِ صمتا

غريقتانِ مَوتًا

الليل ثوبُنا ، خِباؤنا

رُتبتُنا ، شارتُنا ، التى بها يعرفُنا أصحابُنا

« لا يعرفُ الليل سوى من فَقَد النهارْ »

هذا شِعارُنا

لا تبكنا ، يا أيها المستمعُ السعيدْ

فنحنُ مَزْهوونَ بانهزامِنا

* * *

٢١ الحب فى هذا الزمان

تسألنى رفيقتى : ما آخرُ الطريقْ

وهل عرفتُ أولَهْ

نحنُ دمىً شاخصةٌ

فوقَ ستارٍ مُسْدَلَهْ

خطىً تشابكتْ بلا . .

قصدٍ ، على دربٍ قصيرٍ ضيقِ

الله وحدَهُ الذى يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرّقِ

يعلمُ هل تُدرِكُنا السعادَهْ

أم الشقاءُ والنَدَمْ ؟

وكيف توضعُ النهايةُ المعادَهْ

الموتُ . . . أو نوازِعُ السأمْ ؟

يعلمُ ، حين نلتقى بعد سنين أو شهور

هل سيكونُ فى العيونِ وَجْدُها

هل سيكونُ فى العيون حقدُها .

أم نلتقي كالأصدقاءِ القدماءْ
يسلّمونَ فى فتورْ . . .
يُوَدّعونَ فى فتورْ . . .
الحبُّ يا رفيقتى ، قد كانْ
فى أوّل الزمانْ
يخضعُ للترتيبِ والحُسبانْ
« نظرةٌ ، فابتسامة ، فسلامٌ
فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ »
اليومَ . . يا عَجائبَ الزمانْ !
قد يَلتقى فى الحبّ عاشقانْ
من قبل أن يبتسما
ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقتى
ذقنا الذى ذقناهْ
من قبلِ أن نشتهيهْ
ورغم عِلمِنَا
بأن ما ننسجهُ مُلاءةً لِفرْشِنا
تنقضُهُ أناملُ الصباحْ

وأن ما نهمِسُهُ ، نُنعشَ أعصابَنا
يقتُلهُ البَواحْ
فَقَدْ نَسجنَاهُ
وقد همَسْنَاهُ

الحبُ فى هذا الزمانِ يا رفيقتى ....
كالحزنِ ، لا يعيشُ إلا لحظةَ البُكاءْ
أو لحظةَ الشبَقْ
الحب بالفطانةِ اختنقْ
إذا افترقنا ، يا رفيقتى ، فلنلقِ كلّ اللومْ
على زَمانِنا
ولننفض الأيدى فى التَذكارِ والنَّدَمْ
ولنَمْسَحِ الظلالَ عنْ عيُونِنا
ولنبتسمْ فى ثقةٍ ، بأنّ ما حَدَثْ
كان إرادةَ القَدَرْ
وأن آمراً أمَرْ
وأننا قد استجبنا للذى نُحسُّهُ

حينَ قتَلْنا حِسّنا

وأن ما مضى

أهونُ من أن نحمله كأمسِنا

من أن يمدّ ظِلَّهُ البغيضْ

على شبابنَا

ولننطلقْ مغامرين ضائعيَنِ فى البحار العكِرَهْ

نمد جسْمَنا الجديبَ ، والضُّلوعَ المقفرهْ

فى الغرفِ الجديدة المؤجرَهْ

بين صدورٍ أُخَرٍ مُغتصِرَهْ

* * *

٢٢ رسالة إلى سيدة طيبة

فى يومٍ كانتْ وَرْدَه
تغفو فى كُمِّ الليلْ
الشمسُ رَعَتْها
حتى دبّتْ فيها الروح
والشمسُ ،
الشمسُ أماتَتْها
وقداً وتباريح
فى يوم حَلّقَ طائر
ألقاهُ الحظُّ العاثِرُ
فى حبِّ الآفاقِ الممْتدّة
فمضى يَصّاعَدُ منطلقًا
هبت ريحٌ ألقته للسفح
وهوى فى جوف الآفاق الممتدة
ورعاه السفح ، فلمّ عظامه

حتى دبت فيه الروح

لكن ، هل يأمن حضن الريح

طير مقصوص الريش جريح

حتى والريح رخية

في ليلة صيف

وقع أحد الشعراء البسطاء

أنغامًا ساذجة خضراء

ليناجي قلب الألف

لكن كفًا معشوقته قد مزقتا أوتاره

صارت أنغام الشاعر خرساء

فإذا نطقت كانت سوداوية

يا سيدتي عُذراً . . .

فأنا أتكلم بالأمثال لأن الألفاظ العريانة

هي أقسى من أن تلقيها شفتان

لكن الأمثال الملتفة في الأسمالْ

كشفت جسد الواقع

وبدت كالصدق العُرْيان

أشقى ما مرّ بقلبى أن الأيام الجهمة
جعلته يا سيدتى قلبًا جهمًا
سلبته موهبة الحب
وأنا لا أعرف كيف أحبك
وبأضلاعى هذا القلب . . .

* * *

٢٣ الخـــروج

أخرج من مدينتى ، من موطنى القديمْ
مطرِّحاً أثقالَ عيشىَ الأليمْ
فيها ، وتحتَ الثوبِ قد حملتُ سرِّى
دفنتهُ ببابها ، ثم اشتملتُ بالسماءِ والنجومْ
أنسَلُّ تحتَ بابها بليلْ
لا آمنُ الدليلَ ، حتى لو تشابَهتْ علىَّ طلْعَةُ الصحراء
وظهرُها الكتومْ
أخرجُ كاليتيمْ
لم أتخيَّر واحداً من الصحابْ
لكى يُفَدِّينى بنفسِهِ ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسىَ الثقيلهْ
ولم أغادِرْ فى الفراشِ صاحبى يُضلِّلُ الطلاَّبْ
فليسَ من يَطلُبُنى سوى « أنا » القديمْ
حجارةً أكون لو نظرتُ للوراءْ
حجارةً أصبحُ أو رُجُومْ

سوتمحى إذن فى الرملِ ، سيقانَ الندمْ
لا تتبعينى نحو مَهْجرى ، نَشدتُك الجحيمْ
وانطفئى مَصابحَ السماءَ
كى لا ترى سوانحُ الألمْ
ثيابىَ السوداءْ
محجَّرى كقلبكِ الخبئ يا صحراءْ
ولتُنْسِنى آلامُ رحلتكْ
تذْكارَ ما اطَّرحتُ من آلامْ
حتى يَشِفَّ جِسْمىَ السقيمْ
إن عذابَ رِحلتى طَهارَتى
والموتُ فى الصحراءِ بَعْثِىَ المقيمْ
لو متُّ عِشْتُ ما أشاءُ فى المدينةِ المنيرهْ
مدينةِ الصَحْوِ الذي يزخرُ بالأضواءْ
والشمسُ لا تُفارِقُ الظهيرهْ
أواه، يامدينتى المنيرهْ
مدينة الرؤى التى تشربُ ضوءا

مدينة الرؤى التى تمجُّ ضوءا
هل أنتِ وهمٌ واهمٍ تقَطعَتْ به السُّبُلْ
أم أنتِ حقْ ؟
أم أنتِ حقْ ؟

* * *

٢٤ اغلى من العيون

-١-

عيناكِ عُشّيَ الاخيرْ
أرقدُ فيهما ، ولا أطيرْ
هُدْ بُهُما وَثيرْ
خَيْرُهُما وَفيرْ
وعندما حَطّ جَناحُ قلبيَ التزِقْ
بينهما ، عرفتُ أننى أدركت
نِهايةَ المسيرْ
كفّاكَ نُعْمى ، نِعْمَ ما أعطيتِ للمسافر الفقير
ابن سبيلِ الحبَّ والسرورْ
كانَ بلا زادٍ يَسيرْ
فى المهمهِ المهجورْ
وفجأةً ، لاحتْ له بُشارَةٌ بيضاءُ

رايةٌ من نورْ

راحةٌ من نورْ

وملتُ نحوَ ظلِّكِ النَّديِّ ، يا حبيبتى

أنشُقُ ريحَ الزهْرِ فى حدائقِكْ

أبُلّ قلبى بالنّدى ، أنعِشُهُ بالظلِّ والنّسائمْ

يَغسِلُنى حنانك الرقيقُ مِثلما ،

تغتَسِلُ السّماءُ بالغمائمْ

ومثلما تهتزُّ للربيعِ شجَرَهْ

يَسقطُ عنى ورقى القديمْ

يموتُ حزنِىَ العقيمُ ، حُزنِىَ المقيمْ

يصافحُ الحياةَ وجهِىَ الذى نضّرْتِه بِبسْمَتِكْ

أمدّ نحوَ الشمسِ كفيّا

وأرفعُ العينينِ للنُّجومْ

-٢-

منْ أىّ نبعٍ رائقٍ يفيضُ حبُّنا

يَغمُرُنا سعادةً كأننا طِفْلانْ

لم نعرفِ التجوالَ في الزمانْ
أيّ نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانْ
وأيَ كأسٍ حلوةٍ تلكَ التى نذوقُها
حينَ تُطلُّ من عيُوننا قُلوبُنا المجنَّحهْ
تبحثُ فى الأحداقِ عن طعامِها ومائِها
ثم تنامُ فى أمان
وأيّ كونٍ طيبٍ يحيطُنَا
حين نكونُ وحدنا معا
أى كمالٍ لم يُشاهَدْ مثلُهُ أيّ جمالْ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالْ
والناسُ شفّافونَ كالخيالْ
وأنتِ يا لؤلؤتى المنوّرهْ
أنقى من الظلالْ

-٣-

يطيبُ لى فى آخرِ المساءِ أن أقولَ كِلمتَينْ
شفاعةٌ أرفعُها اليكِ يا سيدة النساءْ

الحبُّ يا حبيبتى أغلى من العيونْ
صونيه فى عينيكِ واحفظيه
الحب يا حبيبتى مَلِيكُنا الحنونْ
كونى له مطيعة سميعهْ
الحب يا حبيبتى هديةُ الحياةْ لى ، ولَكْ
لِمتعبيْنِ حائرَيْنِ فى السنينْ
الحبُّ يا حبيبتى فِرْدوسُنا الأمينْ
حين تؤودُ ظَهْرَنا الأيامْ
وتنتهى رحلَتُنا لشاطئ المنون
نلوبُ فى هواه مهللينَ باسمينْ
كأننا لحُونْ

* * *

٢٥ احلام الفارس القديم

لو أننا كنا كغصنيْ شجرهْ
الشمسُ أرضعتْ عروقنا معاً
والفجرُ روّانا ندىً معاً
ثم اصطبغنا خضرةً مزدهِرهْ
حين استطلنا فاعتنقنا أذرُعا
وفي الربيع نكتَسي ثيابَنا الملوّنهْ
وفي الخريفِ ، نخلع الثياب ، نعرَى بَدَنَا
ونستحمّ في الشتا ، يُدْفِئُنا حُنوُّنا

لو أننا كنا بشطْ البحرِ موجتينْ
صُفِّيتا من الرمالِ والمحَارْ
توِّجتا سبيكةً من النهار والزّبَدْ
أسلمتا العنان للتيّارْ
يدفعُنا من مهدنا للحْدِنا معا

فى مشيةٍ راقصةٍ مُدندنهْ
تشربُنا سحابةٌ رقيقةْ
تذوبُ تحت ثغرِ شمسٍ حلوةٍ رفيقه
ثم تعودُ موجتين توأمينْ
أسلمتا العنانَ للتيارْ
فى دورةٍ إلى الأبدْ
من البحارِ للسماءْ
من السماءِ للبحارْ

لو أننا كنا نُجَيْمتين جارَتينْ
من شرفةٍ واحدةٍ مطلعُنا
فى غيمةٍ واحدةٍ مَضْجَعُنا
نضيءُ للعشّاقِ وحدهم وللمسافرين
نحو ديارِ العشقِ والمحبّةْ
وللحزانى الساهرينَ الحافظينَ مَوْثِقَ الاحبّةْ
وحين يأْفُلُ الزمانُ يا حبيبتى
يُدْرِكُنا الأفولْ

وينطفي غرامُنا الطويلُ بانطفائنا
يبعثُنا الإلهُ في مساربِ الجنانِ دُرَّتينْ
بين حصىً كثيرْ
وقد يرانا مَلَكٌ إذ يَعْبُرُ السبيلْ
فينحني ، حين نشدّ عينَهُ إلى صفائنا
يلقطنا ، يمسحنا في ريشهِ ، يُعجبهُ بريقُنا
يرشُقُنا في المفرقِ الطهورْ

لو أننا كنّا جناحي نورسٍ رقيقْ
وناعمٍ ، لا يَبْرَحُ المضيقْ
محلّقٍ على ذُؤاباتِ السُفنْ
يبشّرُ الملاحَ بالوصولْ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنْ
منقارُه يقتاتُ بالنَسيمْ
ويرتوي من عرقَ الغيومْ
وحينما يُجنّ ليلُ البحر يطوينا معاً ... معا
ثم ينامُ فوقَ قَلْعِ مركبٍ قديمْ

يؤانسُ البحارةَ الذين أرهقوا بغربةِ الديارْ
ويؤنسونَ خوفَهُ وحَيْرَتَهْ
بالشدوِ والأشعارْ
والنفخِ في المزمارْ

لو أننا
لو أننا
لو أننا ، وآه من قسوة « لو »
يا فتنتي ، إذا افتتحنا بالمنى كلامَنا
لكنّنا . . .
وآه من قسوتها « لكننا »
لأنها تقولُ في حروفها الملفوفةِ المشتبكهْ
بأننا نُنكرُ ما خلّفَتِ الأيامُ في نفوسنا
نودُّ لو نخلعُهُ
نود لو ننساه
نود لو نعيدهُ لِرَحمِ الحياهْ
لكنني يا فتنتي مجرِّبٌ قعيدْ
على رصيفِ عالمٍ يموجُ بالتخليط والقمامَهْ

كونٍ خلا من الوسامةْ
أكسبنى التعتيمَ والجهامه
حين سقطتُ فوقهُ فى مطلعِ الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيامْ
يا فتنتى محارباً صلباً ، وفارساً هُمَامْ
من قبلِ أن تدوسَ فى فؤادىَ الأقدامْ
من قبل أن تجلدَنى الشموس والصقيعْ
لكى تذل كبريائىَ الرفيعْ
كنتُ أعيش فى ربيعٍ خالدٍ ، أىَّ ربيعْ
وكنتُ إن بكيْتُ هزَّنى البكاءْ
وكنتُ عندما أحسَ بالرثاءْ
للبؤساءِ الضعفاءْ
أودُّ لو أطعمتُهمْ من قلبىَ الوجيعْ
وكنت عندما أرى المحيرِّينَ الضائعينْ
التائهينَ فى الظلامْ
أود لو يُحرقُنى ضيَاعُهُم ، أودّ لو أضىءْ
وكنتُ إن ضحكتُ صافياً ، كأننى غديرْ

يَفترّ عن ظِلّ النجومِ وجهُهُ الوَضيءْ
ماذا جرى للفارسِ الهُمَامْ ؟
انخلع القلبُ ، وولى هارباً بلا زِمامْ
وانكسرتْ قوادمُ الاحلامْ
يا مَن يدلُّ خُطوتي على طريق الدمعةِ البريئهْ
يا مَن يدلُّ خطوتي على طريق الضحكةِ البريئهْ
لك السلام
لك السلام
أعطيكَ ما أعطتنيَ الدنيا من التجريبِ والمهارهْ
لقاءَ يوم واحدٍ من البكارهْ
لا ، ليسَ غيرَ « أنتَ » من يعيدُني للفارسِ القديمْ
دونَ ثمنْ
دون حسابِ الربحِ والخسارهْ

صافيةٌ أراكِ يا حبيبتي كأنما كَبُرْتِ خارجَ الزَمن
وحينما التقينا يا حبيبتي أيقنتُ أننا
مفترقانْ

وأننى سوف أظلّ واقفاً بلا مكانْ
لو لم يُعدنى حُبك الرقيقُ للطهارَهْ
فنعرفُ الحبَّ كغُصنَىْ شجرَهْ
كنَجْمَتين جارتينْ
كموجتَين توأمين
مثل جَنَاحىْ نورسٍ رَقيقْ
عندئذٍ لا نفترَقْ
يضمنا معاً طريق
يضمنا معاً طريق

* * *

٢٦ انتظار الليل والنهار

وهكذا مات النهار
ومال جنب الشمس ، واستدار
ثم تساقط المساء فوقنا ،
مثل جدار خرب ، وانهارْ
واعتنقت صحيفة السماء والغبراء ،
لطختا الجبين بالغبار
وانطفأت نوافذ المرضى ، وأنوار الجسور
أعين الحراس والمآذن
تكوّمت حوائط الظلمة فى مداخل البيوتِ والمخازن
فانكفأت كثيبةً مرصوصةً ، كأنها مدافن
منهارة على بقايا جبل منهار

O

فى آخر المساء شعشعت سحابة بنور

سحابةٌ ناحلة رقيقهْ
وأومضت حمراءَ حمرةَ الزهور
سُوَيْعةً ، وانطفأت فى عتمة الأفق
واندفع النهار
(يا حمرة الغسقْ
يا لون عمرى الذى ودعته حقيقةً . . .
وعشته تَذْكارْ
أضاعكِ الليل كما أضاعك النهار)

○

وهكذا مات المساء
حين تقلبت على ضلوعها الشمسُ ،
وهبت تعتلى السماء
تنفست شوارعُ المدينة الرعناء
أصوات ضجّةٍ بلا إيقاع
وانسكبت مجامر الشعاع
تمور فى العيون ، تكشف الظلال ،
تثقب الحجر

أواه يا نور الضحى ،
ملأت قلبى فزَعاً وترحا
لأننى رأيت فوق ما أردت أن أرى
بوركتِ وقْدَةَ الظهيرة
النورُ يجلدُ العيونَ ، تَعْشى ، لا ترى
من البيوت والبشر
سوى مُكعَّباتِ لونٍ وحجر

في آخر اليوم تدب فى عروق الشمس فترة الملال
ويولد اللون الرمادى الرقيق
حتى ضجيجِ الطرقات
ينحلُّ إيقاعا رمادياً رقيقا
(كلون أيامى التى ما استَطَعْتُ أن أعيشها حياة . . .
فعشتها تأملاً)

سويعة ، ويهبط السوادُ حين ينقضى الأصيل

فالشمس ألقت نظرة الوداع
واتكأت مرهقةً على التلال

O

وهكذا تمضى الحياة بى ،
أعيش فى انتظار

هل . . .
لحظةٌ مشرقة فى ظلمات الليلْ
أو . . . لحظةٌ هادئةٌ فى غمرة النهار

* * *

٢٧ مرثيـة رجـل تافـه

مضت حياته .. كما مضت
ذليلة موطأه
كأنها تراب مقبره
وكان موته الغريب باهتاً مباغتا
منتظراً ، مفاجاه
(الميتة المكروه)

كان بلا أهل ، بلا صحابْ
فلم يشارك صاحباً حين الصبا لهو الصبا
ليحفظ الوداد فى الشباب
كان وحيداً نازفاً كعابر السحاب
وشائعاً كما الذباب

وكنت أعرفه

أراه كلما رسا بى الصباح فى بحيرة العذاب
أجمع فى الجراب
بضع لقيمات تناثرت على شطوطها التراب
ألقى بها الصبيان للدجاج والكلاب
وكنت أن تركت لقمة أنِفتُ أن ألمها
يلقطها ، يمسحها فى كمه ،
يبوسها ، يأكلها
« فى عالم كالعالم الذى نعيش فيه
تعشى عيون التافهين عن وساخة الطعام والشراب »
وتسألوننى : أكان صاحبى ؟
وكيف صحبة تقوم بين راحلين
إذن لماذا حينما نعا الناعى إلىَّ نعيَه
بكيتُه
وزارنى حزنى الغريب ليلتين
ثم رثيتُه

* * *

٢٨ مرثيـة رجـل عظيم

كان يريد أن يرى النظام فى الفوضى ،

وأن يرى الجمال فى النظام

وكان نادر الكلام

كأنه يبصر بين كل لفظتين

اكذوبةً ميتة يخاف أن يبعثها كلامه

ناشرة الفودين ، مرخاة الزمام

وكان في المسا يطيل صحبة النجوم

ليبصر الخيط الذى يلمها

مختبئاً خلف الغيوم

ثم ينادى الله قبل أن ينام :

الله ، هب لى المقلة التى ترى

خلف تشتت الشكول والصورّ

تغيُّرِ الألوان والظلال

خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال

وخلف ما تسدله الشمس على الدنيا .

وما ينسجه القمر

حقائق الأشياء والأحوال

وتسالونني : أكان صاحبي

هل صُحبةٌ تقوم بين سيد عظيم

وخادمٍ محتالْ ؟

* * *

٢٩ زيـارة الموتـى

زرْنا موتانا فى يوم العيد

وقَرَأْنا فاتحة القرآن ، ولَمْلَمْنا أهداب الذكرى

وبَسَطْنَاها فى حضن المقبرة الريفية

وجلسنا ، كسَّرنا خبزاً وشجوناً

وتساقينا دمعاً وأنينا

وتصافحنا ،

وتواعدنا ، وذوى قربانا

أن نلقى موتانا

فى يوم العيد القادم

○

يا موتانا

كانت أطيافكم تأتينا عبر حقول القمح الممتده

ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى

والبيتِ الواطىء فى سفح الاجران

كانت نسماتُ الليل تعيركم ريشا سحريا

موعدكم كنا نترقبه فى شوق هدهده الاطمئنان

حين الأصوات تموت ،

ويجمد ظل المصباح الزيتى على الجُدران

سنشم طراوة أنفاسكمُ حول الموقد

وسنسمع طقطقة الأصوات كمشى ملاك وسنان

هل جئتم تأتنسون بنا ؟

هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا ؟

هل ندفئكم فينا من برد الليل ؟

نتدفأ فيكم من خوف الوحدة

حتى يدنو ضوء الفجر ، ويعلو الديكُ سقُوف البلده

فنقول لكم فى صوتٍ مختلج بالعرفان

عودوا يا موتانا

سندبر فى منحنيات الساعات هنيهات

نلقاكم فيها ، قد لا تُشبعُ جوعاً ، أو تروى ظمأ

لكن لُقَمٌ من تذكارٍ ،
حتى نلقاكم فى ليل آت

○

مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمس الحاضرة الجرداء الصلده
يا قاسية القلب النارى
لِمَ أنضجَتْ الأيامُ ذوائبَنَا بلهيبك
حتى صرنا أحطاباً محترقات
حتى جفّ الدمع النديانُ على خدِّ الورَقِ العطشان
حتى جفّ الدمع المستخفى فى أغوار الأجفان

○

عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد
أدركتم أنّا صرنا أحطاباً فى صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمآن
قد نذكركم مرات عبر العام . . .

كما نتذاكرُ حلماً لم يتمهل فى العين

لكنّ ضجيج الحاضرة الصخرية

لا يسعفنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن

او نطبعَ أوجهكم فى أنفسنا ، ونَلمَّ ملامحكم

ونُخبّيها طىّ الجفن

O

يا موتانا

ذكراكم قوت القلب

فى أيام عزتْ فيها الأقوات

لا تنسونا .. حتى نلقاكم

لا تنسونا .. حتى نلقاكم

* * *

٣٠ يا نجمى .. يا نجمى الأوحد

ها أنت هنا ، أشرقت على موعد
يا نجمى ، يا نجمى ، الأوحد
يا فرحى ، يا عمرى الأسعد
وأنا أخطو نحو الدار
قلبى المشبوبُ ، وقد أغفت
فى صدرى باقةُ أزهار
وسنجلس فى الركن النائى .. قطين أليفين
مقرورين
نتحسّسُ ما أبقت أيامُ الذل على وجهى المكدودُ
وعلى خديك من الألم الممدود
يا نجمى ، يا نجمى الأوحد
ما زلنا – ما زال العالم
ما زال كئيباً ، مازالا
وأنا أصعد

وأدق على صدرِ الباب

ويجيبُ الصوتُ المجهود

« إن كنت صديقا فتقدم »

وأقول « سلاماً »

وأنا لا أملك من دنياى سوى لفظ سلام

وجلسنا فى الركن النائى . . .

نحكى ما قد صنعته الأيام

ونما فى قلبينا مرح مغلول الأقدام

مرح خلاّبٌ كالأحلام

وقصير العمر

هل يضحك يا نجمىَ إنسان مقصوم الظهر

يا نجمى . . .

فلنتناجى ،

ولنتحسس ما أبقت أيام الذل

ولأن الأيام مريضه

ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

يا نجمى ، يا نجمى الأوحد
ما يصنع قزمان التقيا فى ظل مساء ؟
منهوكين
وعليلين
نظرا فى استحياء
عَرفا الأيامَ المروره
وأنين النفسِ المكسوره
وسعار الدَمّ المذنب حين يحن إلى الدم
لفحت أيام الرعب رُواءَهما حتى شاها
وذُوى فى عينها زهو الفطنه
عريا من بزّةِ هذا العصرِ المشهود
صَغُرا ، صَغُرا ، حَتى دَقّا
حتى صارا قزمينِ
مقرورين
ثم التقيا فى ظل مساء

فى قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز

ماذا يَهَبُ العُرْيانُ إلى العريان

إلاَّ الكلمه

والجلسة فى الركن النائى ،

قزمين ودودين

صَغُرا ، صَغُرا ، حتى دقا

فى قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز إلا الحبُّ المعتل

مَسَحَت صدر الشباك أصابعُ ريحٍ شرقيه

وتوهج قلبانا من شيء يولد فى الظلمه

فتلاصقنا

وتعانقنا

ثم خبا ، لم ندرك شيئا

وتهدّل كفّانا ، أغمضت

عينانا ، أذرفنا دمعة

يا أيتها الريح . . الريح الشرقية

يا . . يا وهج الدفء

عودًا ! أوصدنا بابينا

وعرفنا أنا قزمان مقروران

من خيركما لم ندرك شيئا

فوداعًا يا نجمى الأوحد

ولأن الأيام مريضة

ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

لن نجنى .. حتى الحب

❋ ❋ ❋

٣١ الحلم ... والأغنية

مرثية لعبد الناصر

لا ، لم يمت . . .

وتظل أشتاتُ الحديث ممزقاتٍ في الضمائرِ

غافياتٍ في السكينهْ

حتى تصير لها من الأحزان أجنحةٌ ،

تطير بها كلاما مرهقا ، يمضي ليلقُفَهُ الهواءْ

يرده لترن في جدرانه دور مدينة الموت الحزينه

أصوات أهليها الذين نبت بهم سُرُرُ البكاء

يتجمعون على موائد السَهَر الفقيرِ ، معذبينَ

ومطرقين

الدمع سقياهم ، وخبزهمُ التأوه والأنين

يلقون - بين الدمعتين - زفير أسئلةٍ ،

تُخشخش مثل أوراق الخريف الذابلاتْ

هل مات من وهب الحياة حياتَهُ
حقاً أمات ؟
ماذا سنفعل بعده ؟
ماذا سنفعل دونه ؟
حقاً أمات ؟

تتجمع الكلمات حول اسم سرى كالنبض فى شريانهم ،
عشرين عاما
كان الملاذ لهم من الليل البهيم
وكان تعويذ السقيم
وكان حُلم مضاجع المرضى ، وأغنية المسافر فى
الظـلام
وكان مفتاح المدينة للفقير ، يذوده حرس المدينه
عن حِماها
وكان موسم نيلها ،
يأتى فينثرُ ألف خيط من خيوط الخصب تورقُ فى رباها
وكان من يحلو بذكر فعاله فى كل ليله

للمرهقين النائمين بنصف ثوبٍ ، نصفِ بطن
سَمَرُ المودة والتغنى والتمنى والكلامْ

والآن أصبح كل لفظ خنجرا ، ولكل أمنية عذاب
هل مات ، واحزناه
آه لو يعود لبرهة ، ويجيل نظرته ،
ويكشف عن غد بعض الضباب
أواه ، لكن كيف آب إلى التراب ؟
ولم يحنْ وقت الإياب
القول يرهقنا ،
لنصمت ،
علَّ فى الصوت التأسيٌ والسلام
فالصمت أجمل ما يكون إذا غدت سُبُلُ الكلام
تفضى إلى نار المواجد أو إلى ماء السراب
وتقودنا الذكرى الصموت إلى عميق نفوسنا الملأى ،
وتختلج الظلال

ونهيم فى كنا وكان

ويعود ذيَّاك الزمان

ونروح فى استرخاءة الموجوع ننشر عمرنا فى ظله

يوماً فيوما

الصفحة الأولى ، . .

وكان مجيئه وعداً من الآجالِ ،

لا يوفى لمصرٍ ألف عام

والليل ممدود السرادق فوقنا ظلماً وظُلْماً

والثورة الكبرى توهم واهم ورؤى خيال

حتى طلعت ، طلعتما ، الثورة الكبرى ، وأنت

كأن مصر الأم كانت قد غفت ،

كى تستعيد شبابها ورؤى صباها

وكأنها كانت احترقت . .

لتَطهُرَ ثم تولدُ من جديد فى اللهيب

وخرجت أنت شرارة التاريخ من أحشائها

لتعود تُشعِلُ كل شئ من لظاها

وتعيش فى أيامنا الملأى بصوتك منشداً لغة رخيمه
كى يوقظ الموتى من الأجدادِ ،
يبعث من ركام العالم المدفون أطيافَ انتصارات
قديـمة
لتعود للوادى ، وتبعثَ فى ثرى مصر الجديده
والعظيمة
ونعيش مع أيامنا الملأى بيومك واسعاً كالأمنياتْ ،
وضيقاً بالصخر والشوك المدمُى والرماد
أيامنا الملأى بأصداء انتصارك . .
سهمنا المسنون جاز مداه منتصراً وعاد
أيامنا الملأى بأوجاع انكسارك
أُحُدٌ وبدر شارتان على رداءِ محمـدٍ ، عاش الجـهاد
لا ، لم نكن نحيا كما يحيَوْن أياماً نُقضّيها إلى يوم المعاد
بل كان ما نحياه تاريخاً كأروع ما تكون ملاحم التاريخ
ساح ترن بها أغانى المجد مُرْعِدةً ، وحمحمة الجياد

ونعـيش فى أيامنا الملأى بوقع خطاك فى الوادى الأمين
إذ كنت فرحتنا الكبيرة ، حين تمسك فى يديك الحلم ،

تنشر منه فـوق أسـرةِ الأطفـال والمسـتضـعـفين
أو فى نواحى بيت مصر على رؤوس شبابهـا المتجمعين
إذ كنت تجـعلهم يمدون الرقـاب وتشـرئب عيـونهم
نحـو السماء
ويُمَدُّ حـبل الامنيات لكى يصـيد الشمس من عليـائهـا
حـتى لنطمحُ أن نُقَـسِّمَ نورها قطعـاً علـى أحبـابنا
ونعـيـدَ مـا طمـر الزمـانُ ، وأخلفت عِدَةُ السـنين
ونعيش فى أيامنا الملأى بصورتك التى عاشت على أهدابنا
عشرين عاما
نلقاك شاباً فى رداء الحرب تنفخ فى النفير
كى توقظ الأشلاء ، تجمع شمل مصر المسترَقَّة
كانت على مجرى الزمان تمزقت قطعا
فَطُفْتَ على مَسارِ النيل تجمع مزقة فى إثر مزقه
حتى نهضت ، نهضتما ، ألقيتما التابوت فى لهب السعير
وعدتما فى خير رفقة

نلقاك كهلاً أشيب الفودين فى عمر النبوه

تُعلى مواثيق الأخوه
وتضم فى عينيك تَوْقَ النيل للأنهارِ ،
يلغط أهلها بلُغى العروبه
وتؤلف المدن القريبه
كانت قد اختلفت وغيرها الزمان ،
وأصبحت مدناً غريبه
نلقاك فى الخمسين أكثر حكمة وأشد حزنا
الأقرباء تباعدوا وتباغضوا ،
والنصر أخلف وعده ، والله يلهمنا الطريق ،
يشد أزر المؤمنين
الله ! يا هول السنين
المحنة الكبرى ، ووجهك غائب ، والليل يوغل
والشجون

هل مت ؟ لا ، بل عدت حين تجمع الشعب الكسير
وراء نعشك
إذ صاح بالإلهام :

مصر تعيش ... مصر تعيش ...

أنت إذن تعيشُ ، فأنت بعض من ثراها

بل قبضة منه تعود إليه ، تعطيه ويعطيها ارتعاشتها

وخفقَ الروح يسري في بقايا تربها ، ودِما دِمَاها

مصر الولود نمتك ، ثم رعتك ، ثم استخلفتك على ذُراها

ثم اصطفتك لحضنها ،

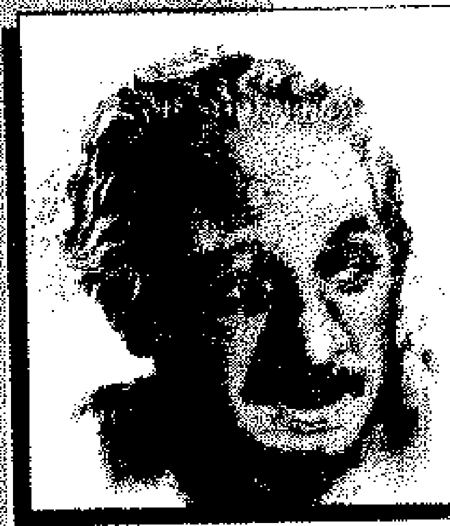
لتصيرَ أغنيةً ترفرف في سماها

* * *

رقم الايداع بدار الكتب ٨٠٩٢/١٩٩٨

I.S.B.N 977- 01 - 5723 - 6

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



مكتبة الأسرة

بسعر رمزي مائة وخمسين قرشاً

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

تفخر مكتبة الأسرة بأن تقدم إلى القارئ العربي هذا العام مختارات من أروع ما كتبه الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور، وهي تجمع شتى الفنون التي أبدعها وتفوق فيها، وتمتاز بالتدرج فى الرؤى وفى الأساليب والأشكال الفنية، وتشهد بعبقرية قل أن يجود الزمان بمثلها.

وقد اختيرت القصائد بدقة من دواوينه الأربعة الأولى وروعي فى ترتيبها التسلسل الزمني، بحيث يمكن للقارئ أن يتابع تطور الشاعر من الديوان الأول «الناس فى بلادى» إلى الثاني وهو «أقول لكم» إلى الثالث وهو «أحلام الفارس القديم» وحتى الرابع وهو «تأملات فى زمن جريح». ونرجو أن تكون هذه الباقة من أزهار الشعر الحديث حافزاً يحفز القراء على قراءة الدواوين كلها فيما بعد.

716

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب